20040419-0007-2

قنديل الحزن الوحيد!

والدة أحد المخطوفين

صار العمر ثقيلا على أم علي.. ساعدتها أم محمد كي تريح الجسد المتعب على الكرسي بقربها.. أم عزيز إلى جانبهما.. نحكي عن ثلاث من أمهات المخطوفين.. الثلاث كن أكثر قوة وشبابا في بدايات الحرب اللبنانية حين خرج اولادهن ولم يعودوا.. نريد ان نخبركم شيئا عنهن شيئا.. هن الآن متعبات.. الزمن اثقل الجسد والإنتظار أثقل من لون الوجع تحت العيون.. لكنهن البارحة كن في ساحة الشهداء.. محاطات بأهالي المخطوفين.. يجلسن في نصف دائرة تكملها نصف دائرة من متضامنين تحولوا إلى متفرجين.. نريد ان نخبركم أن أم علي وأم محمد وأم عزيز يحملن منذ أعوام بعيدة إطارات فيها صور بالأبيض والأسود لشبان خرجوا ولم يعودوا بسبب الحرب اللبنانية.. وهن لا يعرفن شيئا.. لا يعرفن أن الزمن تغير وأن تلك الحرب انتهت.. الحرب ما زالت هنا.. موجودة بين أياديهن بالأبيض والأسود.. لذا، وقبل أن تنتقلوا إلى خبر آخر سريع، اتركوا قبلة ما في راحة واحدة منهن.. فكأنكم تركتم القبلة في الراحات الثلاث.. فبعد عشرات السنين من احتضان إطارات الصور، قد تشابهت التجاعيد في راحاتهن.. كما تشابهت عيونهن.. كما تشابهت حكايتهن.

وداد حلواني (زوجة المخطوف عدنان حلواني) تطالب والناشطون معها في «لجنة أهالي المخطوفين والمفقودين في لبنان» من خلال «حملة تنذكرت ما تنعاد» بما يلي:

١ ـ إعلان يوم ١٣ نيسان يوما وطنيا للذاكرة من اجل نبذ العنف والتعصب من انفسنا ومن مجتمعنا.

٢ ـ أقامة نصب تذكاري لتخليد جميع ضحايا الحرب يكون إدانة ماثلة لجرائمها، مكان نقصده مع اولادنا لنتصالح مع ماضينا.

أم علي وأم محمد وأم عزيز.. ومعهن أم تيسير أم المخطوفين الاربعة التي لم يعد جسدها يقوى على الحضور إلى الاعتصامات.. ألأمهات الأربع.. ومعهن كل أم لمخطوف يطالبن بما يلي وعلى لسان أم محمد:

١ ـ «يحرق قلبهم على اولادهم متل ما حرقوا قلبي على ابني».

٢ ـ نفسه.

٣ ـ نفسه.. مع إضافة: «يصيروا فرجة للعالم متل ما صرنا فرجة.. ما خليت مسؤول إلا رحت لعنده.. ما حدا كان يرد عليي».

لا تصدقوا أم محمد حين تتمنى الشر لأولاد «المسؤولين».. هي ورفيقاتها لا يتمنون الشر لأحد.. هناك حرقة لا يعرفها إلا القلب الذي يشتعل بها.. قلب لا يعرف كيف يعبر عما فيه. قلب يريد أن يبرد.. أم محمد ليست فرجة لأحد..

لكن من الصعب الجلوس بالقرب منها.. من الصعب أن نجلس بالقرب من أم مخطوف.. فنحن لا مخطوفين لدينا.. ولا يحق لنا أن ندعي شعورا ليس لنا..

قد اجهشت أم محمد بالبكاء بعد تكرارها للطلب نفسه ثلاث مرات.. هي تطلب أن يعود اليها ولدها.. قد اجهشت وسماء ساحة الشهداء مليئة بصوت فيروز.. وينون وين صواتون.. وينون.. صار في وادي بيني وبينون.. ليست صدفة فالأغنية تتطابق مع الحكاية.. لذا تجهش أم محمد بالبكاء.. ليست المرة الأولى ففي كل مرة ستبكي الأم الجميلة.. بكت أم محمد فوضعت أم علي ساعدها على كتفي رفيقتها.. دفنت أم محمد وجهها في كتف رفيقتها وبكت.. كانت فيروز حينها تقول أن «أنا قنديل الحزن الوحيد».. أم محمد وأم علي تتساعدان.. الأولى ساعدت الثانية في الجلوس وأخرجت من كيس رفيقتها صورة مخطوفها ووضعتها في حضنها.. والثانية ساعدت الأولى حين بكت. رفيقتان.. لنترك قبلة ما في راحة واحدة منهما ونبتعد.. ونتفرج إلى المكان من حولنا..

الساحة محاطة بشريط ازرق يمشي من شجرة إلى شجرة.. للتواشتهت تظاهرة الجماعة الإسلامية وحماس تنديدا لاغتيال الرنتيسي.. انتهت أمام مبنى الأسكوا بأن يمم المتظاهرون وجوههم جنوبا وأدوا صلاة الغائب عن روح الشهداء.. صلوا وتفرقوا.. فلسطينيون ولبنانيون.. لم يدخل أحد منهم ساحة تنذكرت ما تنعاد.. هذه الساحة ملأها ناشطون مدنيون... ليس بعيداً عن هذه الساحة تنظم الأندية الثقافية الفلسطينية يوما تضامنيا مع العراق وفلسطين.. وستغني فرقة «صدى» أغاني قومية وثورية.. على جدار مبنى هائل يطل على الساحتين.. هناك عائلة شديدة الفرح تتألف من أولاد واب وأم يمدون سواعدهم ويضحكون.. فرحون بتقنيات الشركة اليابانية للأجهزة الكهربائية صاحبة الإعلان.. المتجر الموسيقي الهائل يقع في المكان نفسه.. يحتشد فيه زبائن يبحثون عن الموسيقى.. لنر.. فلسطين. حرب لبنان. العراق. الإعلان.. القومية العربية. حماس والجماعة الإسلامية. اليسار الجديد. إذا ما تذاكينا يمكننا أن نستنتج أن كل ما يضج به العالم اليوم ممثل هنا.. يمكننا أن نختصر العالم في بضع ساعات وقليل من مشاهد متفرقة فوق رقعة صغيرة.. يمكننا لكننا لا نريد.. هذا لا يفيد أم محمد.. لنعد إليها.. «أهلا حبيبي».. هاتان راحتاها.. تحضنان صورة مخطوفها.. إلى متى ستظل تأتي وتجلب معها ابنتها وحفيدها أحمد الذي سمي على اسم المخطوف.. تمد سبابتها إلى السماء وتبتسم: «حتى يفرجها الله».. إلى السماء سترسل أم محمد القبلات التي تركناها في راحتها.. ولتمطر سماء السماء بالقبل.. قبل تشبه علامات استفهامنا التي لا تنتهي حول كل هذا الجنون في هذا العالم..

جهاد بزي

في وداع أحمد شومان

لعل احمد شومان اكثر من تنطبق عليه صفة «نسيج وحده»، او «المفرد» الذي لا يشبه احداً غيره، ولا يشبهه احد.

بأسلوبه المتميز، والذي قد يصل بالطرافة الى مداها الاقصى، وبالسخرية الى حدود الجرح: لم يكتب حرفاً من خارج ما يعتقده في الناس كما في نفسه، في الافكار والعقائد السياسية كما في الشخصيات التاريخية.

...ثم بنمط حياته الخاص، اذ كان لا يقع في الصداقة او في الحد ، ا

في الكتابة الا بقرار ذاتي... لذلك فقد كان يعرف الجميع لكن اصدقاءه كانوا قلة مختارة.

كان يتهم بأنه «سوداوي»، وبأنه لا يرى من الكوب الا نصفه الفارغ، ولعله كان بسوداويته كقارئ الغيب بالنسبة للانظمة العربية والسياسات العربية عموماً.

قبل نحو ثلاث سنوات دخل عليّ احمد شومان مهللاً وهو يقول: لن تصدق! ولكن عازب الدهر قد تزوج! لقد وجدت المرأة التي استطاعت ان ... أن تكون زوجة ... وبأن تحملني في كبري.